

## بنية اللغة الشعرية عند مصطفى سند

أ.د/ محمود درابسة

جامعة اليرموك/ اربد- الأردن

### تمهيد:

يعد الشاعر مصطفى سند<sup>(1)</sup> واحداً من أبرز شعراء السودان الذين برزوا في أوائل الستينات من القرن الماضي، حيث عرف هؤلاء الشعراء باسم شعراء (الغاية والصحراء)<sup>(2)</sup>. إذ حاولوا يطرح جدلية الهوية والانتماء. ولذا فقد حاول مصطفى سند ورفاقه في هذا التيار الشعري أن يقدموا إجابات عن سؤال طالما بقي مطروحاً في الساحة الإبداعية والثقافية في السودان حول سؤال الهوية<sup>(3)</sup>.

إن الإجابة عن سؤال الهوية والانتماء عند مصطفى سند ورفاقه في تياره الشعري لم تكن سهلة أو بسيطة. فالسؤال حول الهوية والانتماء لم يقتصر على الشاعر مصطفى سند وتياره الشعري بل أصبح محور جدل مستمر حول هوية السودان الثقافية. مما جعل الباحثين يتساءلون حول أصول الشعر السوداني وهويته. وهذا التساؤل بالذات ربما تتوسع دائرته لتشمل عروبة السودان وانتماءه العربي.

وفي إطار هذا الطرح عند الشاعر مصطفى سند حول الهوية والانتماء، فقد قدم الشاعر إبداعاته الشعرية التي تتجسد فيها قوة الكلمة، وعمق الصورة، وكثافة الخيال، وعمق الرمز، وتنوع الظواهر الأسلوبية في لغته الشعرية، فضلاً عن الأداء الطقوسي الذي برع فيه مصطفى سند، بحيث عبر من خلاله عن حنينه إلى ثقافته الإفريقية دون الانسلاخ عن محيطه الثقافي العربي.

### البعد الأسطوري

لقد تفرد مصطفى سند بتوظيف الأسطورة توظيفاً متميزاً في شعره أكثر من أقرانه الشعراء في التيار الشعري الذي يمثل جيل الستينات من القرن الماضي، ذلك التيار الذي جعل همه الإجابة عن سؤال الهوية والانتماء في الشعر السوداني.

فالأسطورة أولاً وأخيراً تهدف "إلى تفسير شيء ما في الطبيعة، كنشوء الكون أو أصل الرعد أو الزلزال أو العاصفة أو الشجرة أو الورد. ومن هذا التفسير العلمي الأولي، البدائي، للعالم المحيط، دفعت الإنسان في حاجته إلى السيطرة على بيئته ووجوده، إلى إقامة عبادات أساسية، غالباً ما تكون بمساعدة الشامانات، والكهنة أو المطبين، وبرزوا ذوي التأثير الكبير في حياته أو في محيطه. تقوم أساطير أخرى بتفسير التقاليد والعبادات الاجتماعية والممارسات الدينية وأسرار الحياة والموت. فالخيال والخرافة والزخرفة اختلطت بالملاحظة اختلاطاً كبيراً. بعض الأساطير وضعت للتعليم، لكن بعضها الآخر لم يكن يهدف إلا للمتعة والتفنن في رواية القصص<sup>(4)</sup>.

إذن الأسطورة هي "الشكل الرمزي الذي تعبر به الثقافة عما هو بالنسبة إليها حقائق وجودية وكونية"<sup>(5)</sup>. فالأسطورة هي مستودع الثقافة البدائية، وهي الكلمات الأولى عند الإنسان تلك الكلمات التي تجسد قوته وضعفه، خياله وواقعه، حياته بكل ما فيها من متعة أو غصة. فالأسطورة تعكس حياة الشعوب بكل تفاصيلها، إيمانها وتحورها، ثقافتها وبطولاتها، فالشعوب تفسر كل ما ينزل بها من خلال الأسطورة. ولهذا فالأسطورة أصبحت مصدراً خصباً للأدب شعره ونثره<sup>(6)</sup>.

ولهذا فإن الأسطورة في شعر مصطفى سند تشكل قوة يفجر من خلالها الشاعر طاقات ذات دلالات متعددة. فالأسطورة تشكل "أداة التعبير عما يمكن تسميته بالاتجاه العام. فالأسطورة على الرغم مما تحويه من عنصر الخرافة، عبارة عن مخلوقات غريبة ووقائع مستحيلة تصبح في مجمل الموقف الذي تفرضه ومن خلال شخصيات تنوء بحمل هذا الموقف، أكثر فعالية في الكشف عن الوضع الإنساني وأشد ملامسة لأغوار النفس البشرية من الأحداث الواقعة"<sup>(7)</sup>.

ويتجلى هذا البعد الأسطوري في القصيدة التالية الموسومة بـ "الغابة"، حيث يقول مصطفى سند:<sup>(8)</sup>

كأنما في هذه العروق من طبولها المددمات

بالأسي شرارة

ورثتها كما أحسن، من دناها

.. وعشبهها.. وبرقها المخيف..

.. من سهول الجنس.. والدماء... والإثارة  
 إذا وطقتها أموت من تلهفي  
 أذوب في العناصر الطلاسم  
 أشم نكهة الغموض في تعاقب المواسم  
 أشم نكهة البكاره  
 أحس أنني إلى هنا أتميت، منذ هاجرت  
 بويضة الحياة عبر جدتي  
 وأنكرت حواضن الأله لمعة الحضاره  
 تلوح في جيبني الهجين، في نحاس الشمس  
 سال في دماي، في غرابة الملامح  
 وعندما سجننت في رواق الليل  
 كانت الطبول والخمور والذبائح  
 تقام كي أظل نازحاً فلا أقر  
 حينما أتجهت كنت فارغ اليدين كاذب  
 البشاره  
 لكنني أعود، بنحمتي تقودني، أعبّ من خوابي  
 الشمس رغوّة الضياء والبريق، صفوة العصاره  
 تنوح في جنازتي العواصف  
 وأهلي يرقصون حين تقبل الريح توبتي  
 وحين تستبين في العيون ثورة العواطف  
 أجر من عيون الكرى فلا أنام.. حين ينعسون  
 أشرب الدماء من لظي دنانهم  
 أراي الإله.. جالساً مكان جدتي  
 القديم.. في الصداره  
 أوزع البروق من السحائب النواذف  
 أدقها برمحي الطويل، أرتدي ذيولها الموشحات

بالمياه صاحباً، أذوب في متونها الندية المعاطف  
وما أغصّ حين أنشد الكلام  
في حقول شعري الأصيل تورق العبارة  
أنا هنا رفيق هذه الروافد المزغردات  
دندنات حلّقها المرن  
في وساد الرّمل والحجاره  
.. أنا هنا مناجز الفضول  
صاحب الشّمول، والإحاطه  
بكل كبريائي الذي هوى فسلّته  
بكل ما في الأرض من بساطه  
أقول إنني إلى هنا أنتميتُ مرة  
وهأنا أعود مشرق الجبين  
صادق اليقين، ناصع الطهاره

تجسد هذه القصيدة الشعرية ملامح الحياة السودانية بحلوها ومرها، حيث قدم الشاعر هذه المعاناة من خلال الأسطورة التي تمثل الخيال الشعبي في طبقات المجتمع السوداني. فقد حشد الشاعر كل عناصر الثقافة والبيئة في السودان من خلال الأسطورة التي تمثلت في الأداء الطقوسي لمكونات المجتمع السوداني الذي هو مرآة تعكس الحياة والتقاليد الشعبية والدينية الأفريقية.

فهذه الطبول التي تصدح في الحياة السودانية، تمثل الدم الذي يجري في عروق الشاعر، كما أن مشاهد البيئة من دماء وعشب قد أصبحت تمثل الحروف التي يتلوها الشاعر صباح مساء وكأنما تعويذة يرددّها مصطفى سند لأبعاد شبح الخوف والجوع الذي يجيم على مناحي الحياة في السودان. ويعود الشاعر مرة أخرى مؤكداً انتماءه الأفريقي، فيقول:

أشم نكهة الغموض في تعاقب المواسم  
أشم نكهة البكاره  
أحس أنني إلى هنا أنتميت منذ هاجرت

## بويضة الحياة عبر جدتي

فالشاعر مصطفى سند يؤكد هنا أصوله الإفريقية، وأن الانتماء عنده يعود إلى البذرة الأولى، وأنه ليس طارئاً على هذه الأصول الإفريقية. فالدم الذي يجري في عروقه هو دم أفريقي عبر أسلافه وأهله منذ زمن بعيد.

كما يقدم الشاعر هنا مشهداً أسطورياً دينياً من خلال الطبول والخمور والذبائح التي تنحر في المواسم الدينية تقريباً إلى الإله. هذه الصورة الدينية تقابلها مباشرة صورة الإنسان الشاعر، حيث النقاء والطهارة والوضوح مثل وضوح الشمس وبهاؤها. وينتهي هذا المشهد الديني بصورة الشاعر وقد أصبح ناسكاً أو كاهناً يرمز للطهارة والعبودية، فهو يجلس مكان الإله الذي هو الجد والأصل والانتماء، وذلك في جو شعائري حيث الرقص والنوح طلباً للتوبة والمغفرة.

وتقوم صورة أخرى كهنوتية حيث الكاهن يدق برمحه الطويل الأرض والسحب لكي تمطر السماء، وتبعث الحياة وتنتهي الموت والجمود والانتها، وعند ذلك يقول الشعر، ويصبح صاحب الشمول والإحاطة، وتتمثل فيه الكبرياء والعزة والبهاء<sup>(9)</sup>. إن هذا البعد الأسطوري، وهذا الأداء الطقوسي يؤكد بكل تفاصيله هويته الأفريقية القديمة.

ومن هنا، يمكن القول، بأن مصطفى سند قد تميز في إبداعاته الشعرية بالتركيز على الأداء الشعري من خلال الرمز والصورة، والدلالات التي تتجسد فيها الغموض الفني، وقد قدم ذلك كله من خلال توظيفه للأسطورة كدلالة تؤكد انتماءه وهويته، فالأسطورة أصبحت جوهر العمل الإبداعي عند الشاعر في بحثه عن ماضيه القديم وحاضره القلق، ومستقبله الذي يحلم به، كل هذا جاء وفق صياغة شعرية عميقة تبحث عن سر الوجود ومعنى الحياة بكل ألوانها.

فالأسطورة التي جعلها مصطفى سند الطاقة الكامنة التي فجر من خلال اللغة دلالاتها وإيجازاتها المتعددة التي تجسد طبيعة الحياة الإفريقية، قد تشكلت من خلال الصور السمعية والشمسية، حيث ملأت أجواء النص ضجيجاً ورائحة يعبق بها المكان، حيث الطبول والبخور ورائحة الدماء، أصوات الرعد والبرق، وطلاسم وشعائر المتعبدين.

فالأسطورة هنا شكلت الشعور الجمعي في المجتمع السوداني الذي تسوده الفرقة والتباعد أحياناً، بيد أن التواشج الإنساني المتجذر في الثقافة والتقاليد والطقوس تجعل منه

مجتمعاً أكثر قوة وتماسكاً ورحمة. فالأسطورة تتضمن عناصر الخير والشر، وهو ما يجسد الحياة البشرية بشكل عام، ولهذا فقد اتكأ مصطفى سند على الأسطورة الممتلئة بتفاصيل الحياة الإفريقية ليؤكد من خلالها عمق الانتماء، ووضوح الهوية<sup>(10)</sup>.

### الصورة الفنية

تعد الصورة "إعادة إنتاج عقلية، ذكرى، لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة، ليست بالضرورة بصرية"<sup>(11)</sup>. كما أن الصورة قد تكون سمعية أو شمعية أو ذوقية<sup>(12)</sup>. فالصورة عند مصطفى سند تمحورت حول الرؤية البصرية والسمعية، وقد تجلّت موضوعات صوره ومجالاتها في الطبيعة السودانية من خلال الماء والأنهار، والسحب، والغابة، والنيل. فالشاعر السوداني يحب طبيعة بلاده، وملتصق بها إلى حد بعيد. فالطبيعة في السودان متجذرة ومتجسدة في شعر الشاعر مصطفى سند، بل لقد أصبح مصطفى سند هو الطبيعة ذاتها، فعندما يصف النهر أو يصور السحب والمطر يصبح مثلها تماماً، بل يذوب فيها. وهذا هو الاندماج الحقيقي مع الوطن، كما هو الانتماء للوطن بكل عناصره، من طبيعة، وإنسان. يقول الشاعر مصطفى سند في قصيدته المسمومة بـ "حزين الصيف"<sup>(13)</sup>.

يقول لي إن مات في عينيك ظلّهم

وسافر النهار

لا تلعن الزمان والسنين والأقدار

لا تبك فالذي ينام في الإبريق من حزين الصيف

دمع هذه البحار

يا شاعري العريان من نبوءة المطلسمين

بالتيران والبروق

يا شاعري والنصل في دماك مهرجان جوهري

بساحة العقوق

علاك حاجبان أحمران خلفك جبهة بغير عين

تنح موسمين آخرين

ولا تقل لمن يقود حادياً على عماك، أين

تشال رحمة الملوك في الرضا وبالعرفان والجلال  
لكل حالة لبوسها فكن إذا نطقت بارداً  
بلا انفعال  
يا أيها الذي أخذت دوغما سؤال  
يا أيها الذي أخذت دوغما سؤال  
يقول لي لا تبك فالنهار تاج فضة  
على جبينك الكريم  
عرضت حين فرّ منصفوك في المواقف الشداد  
لوحة الجحيم  
يا شمس  
للإيجار بيت شاعرٍ تقوّضت جدرانها العتاق  
خلف شارع قدم  
مهياً للناس... للجياع.. للذين مثلكم بلا بيوت  
إنّ عزّ في الزمان حاتم الندى  
حلفت للغريب لا يفوت  
ببابه الحزين دون هجعةٍ ودون شربةٍ ودون قوت  
يا شمس  
للإيجار صائم الكلام، صالب الشفاه، شاعر السكوت  
عليه بردتان  
من قنجة الملوك، شالتنا ودارتنا...  
مدائناً، حداقماً، عوالقاً ومهرجان  
للزيت والتراب فيهما وللهباب والدخان  
مواسم الحديث من يبيعه ليشتريك؟  
يقول لي إن مات في عينيك ظلهم  
إياك أن تحدّث القساة بالهوان حين يعتريك  
لأنّ من يحسّ ضعفك الذي تحسّ

يزرع المدى موانعاً.. قطيعاً.. ونظرةً ليتقيك

يتضح من خلال هذه اللوحات الشعرية بأن الشاعر قد ركز على الصورة التشخيصية كثيراً، فهي صورة بصرية نابغة ومتشكلة من البيئة السودانية، حيث استطاع الشاعر أن يعبر عن هموم أبناء السودان أصدق تعبير، وبخاصة الجزء الجنوبي من السودان، فقصيدته "خزين الصيف" تعبر عن الجوع والفقر والمرض والموت. وبالمقابل يقدم الشاعر صورة الإنسان في السودان الذي يمثل الكرم والصبر والكبرياء في شخصيته، يقول:

للايجار بيت شاعر تقوضت جدرانها العتاق

خلف شارع قديم

مهياً للناس.. للحجاج.. للذين مثلكم بلا بيوت

إن عزّ في الزمان حاتم الندى

حلفت للغريب لا يفوت

ببابه الحزين دون هجعةٍ ودون شربةٍ ودون قوت

كما جسّد الشاعر صورة حبه للأشياء المعنوية، فهناك موت الظلّ، وسفر

النهار، ودمع البحار.

هذه الصور تشكل موقف الشاعر من التحولات التي طرأت عليه، ومن خلاله

الإنسان في السودان الفقيرة، المحروم، فهذه الصورة تجسّد حالة الصراع بين الإنسان والزمن

وما يمثله من تحولات وتغيرات يقول:

يقول لي إن مات في عينيك ظلهم

وسافر النهار

لا تلعن الزمان والسنين والأقدار

لا تبك فالذي ينام في الإبريق من خزين الصيف

دمع هذه البحار

إن هذه اللوحة تعبر عن الرحيل والزوال والانتها، فالموت قد طال ظلّ من

رحلوا، كما أن النهار الذي يعبر عن القوة والوضوح والحياة قد سافر، وكأنه إنسان قد

ارتحل دونما عودة، وان ما تبقى من قوت هو هذه الأوعية الفارغة التي لا تحتوي إلا على

دمع هذه البحار، فالصورة هنا هي الموت والدمع والفقر والخواء.



## (3)

## أسلوب التكرار

يعد الشعر عملاً في اللغة أولاً وأخيراً، كما أنه يشكل تجربة لغوية تجسد علاقة الشاعر بذاته، وكذلك بالكون من خلال هذه اللغة

ويتمثل هذا العمل اللغوي من خلال الرسالة التي يعمل الشاعر على تبليغها إلى المتلقي، ولذلك فالنص الإبداعي يتشكل من اللغة بكل مكنوناتها وظواهرها. فالخطاب الإبداعي هو خطاب في اللغة أولاً وأخيراً، ولهذا يمكن القول بأن البنية اللغوية لأي نص إبداعي تتشكل من ظواهر أسلوبية متعددة، ولعل التكرار هو الظاهرة التي يعمد إليها الشعراء أو الأدباء لتوصيل رسائل معينة عبر اللغة إلى القارئ وفقاً لنوعيته.

فالتكرار ظاهرة لغوية ذات قيمة أسلوبية متنوعة، وهو يقوم على العلاقات التركيبية بين الألفاظ والجمل، كما تقاس معدلات التكرار بنسبة إيراده في النص، والتكرار نوعان: بسيط ومركب<sup>(14)</sup>.

فالتكرار البسيط هو تكرار الكلمة اسماً كانت أو حرفاً، وكذلك تكرار الصيغة المتمثلة بالضمائر والحروف والأفعال. وأما التكرار المركب فيتشكل من تكرار الجمل أو العبارات<sup>(15)</sup>.

وقد عدّ محمد عبد المطلب البنية اللغوية للتكرار مكوناً أساسياً للشعر، حيث يقول: "وتمثل بنية (التكرار) خطأً أساسياً في الشعر القديم والحديث على سواء، لكنها لقيت رعاية خاصة في الشعر الحديث لما تقدمه من نواتج بالغة الأهمية، حيث أخذ التكرار أشكالاً بنائية متميزة بعضها يأتي في شكل أفقي، وبعضها في شكل رأسي، وبعضها يتحرك على السطح، وبعضها يتحرك في المستوى العميق، وكلها يؤدي إحدى مهمتين هما التأسيس أو التقرير. ولم تتسلط البنية على الدوال المكتملة الدلالة وحدها، بل إنها تجاوزتها إلى الأدوات إلى تستقل بالمعنى كحروف النفي مثلاً"<sup>(16)</sup>.

وقد تجسد هذا التكرار بأشكاله المتنوعة في قصيدة "حتى الموت" لتعكس حالة التحري والرفض والصمود عند الإنسان المقهور الذي يعاني جشع الغرباء وقهر المرض، حيث يقول<sup>(17)</sup>:

ممتلي حتى الموت

بالشيء وباللاشيء كمتفهى الصيف  
 ممتلئ الوجه أساقى فوق رصيف الليل المهزومين  
 صبّوا، نشرب هذا البرق الكاذب أو يتكشف  
 قاع الزيف  
 وعدّ يخلف ظل أيينا اللاصق بالأكتاف الغار كالسكين  
 مات ولم يتحرك نحو القبر  
 وتحجّر فوق الأذرع نعش الصبر  
 صبّوا، نغلق باب الدهشة نسحق وجه العصر  
 صبّوا، نشرب هذا ريق زجاج أزمّن حافي التابوت  
 وما ندرية  
 من غسل الله الخالد من حبات الحنطة من أشداق المصروعين  
 صبّوا، نشرب عطر الناس المبتلين  
 لا يخلو طعم الجلسة دون اللحم ودون الخمر  
 الجيد والأعراض  
 من أجل اثنين الفقر الأسود والأمراض  
 قبلت الخنجر في خديّه وجنتك يا مولاي أدّوب  
 ماء حيائي بين يديك  
 خذني لمعة زهو في عينيك  
 فأنا أبرع من يهديك الشعر، يزّين  
 صبح جبينك بالكلمات  
 أقسمت أمامك لن أبحراً، لن استمطر  
 دمعة حزن للأموات.  
 خذني عندك يا وهّاب المحتاجين  
 ازرعني قمراً أو شك أن يستشهد قبل سنين  
 ازرعني وسط الشوك وفي الأنقاض وتحت الطين  
 لن تسمع مني غير ثنائك حين يطلّ

السأم المترف من عينيك  
 ستجدني حاكي الليل الطائع في كفيك  
 فأنا يا مولاي الطيب حتى الموت..  
 يملؤني ظلك حتى الموت..  
 تغمز أضحك..  
 تزجر أصمت..  
 تمنح أحمد..  
 ترفع أخفض... أنت السيد حتى الموت.

تعتبر الأفعال المكررة، وكذلك الأسماء المكررة أيضاً عن شخصية الشاعر التي تجسد الإنسان السوداني المقهور بفعل الظلم والفقر والجوع والمرض والحرمان، وهذه الصورة النمطية التي تكررت في شعر مصطفى سند تقابلها صورة الظالم المهزوم، والقاتل، والسارق. فالشاعر يوظف فعل الأمر بكثرة في لوحاته الشعرية، حيث استخدم الفعل "صَبَّوا" عدة مرات ليعبر عن حالة الرفض والصدام واللاخوف من أولئك الظالمين الذين يقفون وراء الجوع والمرض والخوف الذي يصيب ابن السودان. فالشاعر يصرخ بالفعل "صَبَّوا" وبطريقة استهزائية أو ازدراكية، حيث يقول لهم بأننا مستعدون أن نشرب عطر الناس المتبلين، من جراء المرض والبرد. فالطعام والماء الذي يأخذه أولئك الطامعون والظالمون فهو من عرق وتعب المظلومين والفقراء والمقهورين، فهم يعملون ليزداد هؤلاء غنى، بينما هم يزدادون فقراً وجوعاً وحرماناً ومرضاً.

ويرسم الشاعر بالكلمات صورة ازدراكية تمثل الإنسان المقهور والمعذب في إزاء الظالم الذي يقف منتصباً كالصنم، حيث بدا صوت الشاعر هنا معاتباً بطريقة غير مباشرة ذلك الظالم المستبد. إذ يبدي الشاعر وهو يمثل صوت المقهورين من أبناء السودان وهو يخاطب هذا السيد الظالم بأنه على استعداد لفعل أي شيء لإرضاء غرور هذا السيد، فهو رهن إشارته، فإن زجر يصمت المقهور وإن غمز يضحك كذلك، كما يشكر على أي شيء يقدمه ولو كان فتاتاً، حتى وإن أمر بالموت فإنه مطيع له، ولهذا يكرر الشاعر فعل الأمر ازرعني، وكذلك كلمة الموت، حيث يقول:

ازرعني قمراً أو شك أن يستشهد قبل سنين

ازرعني وسط الشوك وفي الأنقاض وتحت الطين  
 لن تسمع مني غير ثنائك حين يطل  
 السأم المترف من عينيك  
 ثم يقول في مواضع أخرى مركزاً على جوهرية الموت في النص.  
 ممتلي حتى الموت  
 أنت السيد حتى الموت

كما وقف الشاعر في أكثر من موقف معبراً عن حالة الذل والاستسلام أحياناً  
 أمام هذا الطاغية الظالم الذي جعل من أبناء السودان سواء في الجنوب أو في أي بقعة  
 من الوطن السوداني مجالاً للظلم والفقر والمرض والقهر والحرمان، ولذا كرر الشاعر  
 استخدام الفعل "خذني" حيث يقول:

خذني لمعة زهو في عينيك  
 خذني عندك يا وهاب المحتاجين

وبهذا استطاع الشاعر أن يجعل من ظاهرة التكرار في لوحاته الشعرية طاقة تفجر  
 المشاعر، وتعبير عن حالة الرفض والازدراء من الظلم والظالمين الذين يقفون أمام حرمان  
 أبناء السودان من حقهم في العيش الكريم، بعيداً عن الخوف والمرض والجوع، ولعل هذا  
 الأسلوب اللغوي قد أعطى النص الشعري قدرة فنية جعلت منه لوحة مسرحية بين  
 المظلوم وسيده الظالم. حيث وظف الشاعر الأفعال والأسماء المكررة بطريقة تجعل من  
 القارئ جزءاً من النص ومتفاعلاً مع ما يطرحه من صور المعاناة عن أبناء السودان.

(4)

#### أسلوب الالتفات

يعد أسلوب الالتفات أحد الظواهر التي تعبر عن التحولات في بنية اللغة  
 الشعرية، ويشيع استخدامه وتوظيفه في الأعمال الإبداعية وبخاصة الشعر، فالتحول في  
 استخدام ضمير المفرد إلى الجمع أو ضمير المخاطب إلى الأنا أو الماضي إلى الحاضر يمثل  
 حركة لغوية عميقة تعطي العمل الإبداعي قوة في التعبير والدلالة<sup>(18)</sup>.  
 ولعل أبرز مجالات الالتفات التي يعبر من خلالها الشاعر عن طاقته الإبداعية  
 هي الصيغ والضمائر، والبناء النحوي والأدوات والمعجم<sup>(19)</sup>.

وقد وظف مصطفى سند في قصائده أسلوب الالتفات توظيفاً جيداً، حيث استطاع أن يخلص اللغة من السكون والجمود ويحررها من دوائر الممارسة السطحية والضيقة، "يجليها وينقيها لفظاً وأسلوباً، يحييها ويعتقها لتحيًا تجربة جديدة تعيش في الذات والزمن، فهو شاعر ينقي الأشياء ويصفي عمتما عبر التأمل المستبصر"<sup>(20)</sup>.

يقول الشاعر مصطفى سند في قصيدته "أغنيات للصيف القادم"<sup>(21)</sup>.

لنا صدائك والحفيف يا جواد رحلة الهبوط

في منازل العيون

لنا هدير بوقك الليلي والنبيد والصراخ والجنون

ودورة بهار لم الزوج، دورة بشاطئ العراة

دورة بغابة العبيد والسجون

لنا صدائك يا حضارة البنوك والملوك

يا حضارة النقود

من صدر ناطحات الليل جاءنا القضاة والشهود

وجاءنا اليهود

فنحن في شوارع المدائن الموشحات بالثلوج

ننزف الوقود

ونحن في حساب اللهو اسطوانة بمشرب

يؤمه الرعاة آخر النهار

تصب في عروق الصمت والدخان أغنيات الدمع

أهة جريجة القرار

لنا صدائك يا عصابة الحشيش والأفيون

يا عصابة الدوار

لأننا نشم كل ليلة رياح الزهو

من قلوبنا المعلقة بالصنادل الشرقية البحار

لنا وما لنا وأنت حين يبرد الصدى

وتعشب الحروف في حناجر المبشرين

تناظرين أعين الجياع بالدرهم المثيرة الرنين  
 وقفت في محطة الدموع أستريح  
 أشك في صدارى القدم صورة المسيح  
 أصفح الوجوه يا هواي بالوجوه حين ترتدي  
 براقع الشموس حين لا تبيح  
 لأعين الغريب أن تمسّ حرمة الصمود  
 في قناعها الجريح  
 يا سنبل الخريف لا تهزّ منكبيك للنسيم  
 هذه الحروف أنت في جبينها شعار كبرياء  
 لا تطعم الجنادب الصفراء كلما احتقنت  
 بالحبوب في مواسم العطاء  
 وكن لكل فوهة وقودها وكن لكل قطرة  
 من الدماء  
 بريق جرحها الذي يضيء فوق حائط السماء  
 تراه أعين الشعوب حين ينزل المحاربون  
 ساحة القتال  
 نوافذاً من الندى، نوافذاً من الهوى الحبيس  
 بين أضلع الرجال  
 يراه كل من يبيع زهرة الحياة راهباً  
 يلف شعر الليل في مناسج النضال  
 وقفت في محطة الدموع أرفض البكاء  
 نجم أمّتي العنيد مزق السماء، زلزل الجبال  
 صبرت يا ابن مريم البتول يا سلام روح العالم  
 الغريق في بحيرة الضلال  
 صبرت يا مهاب الأمس يا غريب اليوم  
 حاسراً وعارياً وجافياً بلا نعال

تنام في الصليب حين أمطرت وحين أمسكت  
 تنام في محفة العذاب  
 يموت نحر الشمس في حناجر المهاجرين  
 حين يعبرون ظلك المهاب  
 من أيّ سكتين تنهض الرياح في يديك  
 مسرجات صندل وعطر شمعدان؟  
 من أيّ سكتين يقدم الذين تنبع الشمس  
 من أكفهم فيسجد الزمان  
 من أي سكتين؟  
 من صدى يرف تحت أضلع المطلسمين بالرصاص والدخان  
 فواصل الحديث جدّ من يجدّ، جمر من يفي بما عليه  
 زهو من يدمر المسارح التي تمارس البغاء كل ليلة  
 وتعرض الهوان  
 صبرت حين أنضجت محارق الوقار مقلتيك  
 حين مسك المشيب باكراً وبات في جبينك الدهول  
 صبرت حين مزقت سنابك المغول  
 رثائك المباركات صافنات العزّ حيث عانق الرسول  
 مصلباً عليك في الإسراء، قبلة السلام  
 وجه أمك البتول  
 من أي سكتين راشّت النصال قبل فجرنا  
 الروحيّ غيلةً فخيم الدهول؟  
 سيزهر الحديد في دروبنا المساهرات للشروق، تنبت  
 قوافلاً من الرجال، فيض ناجزين، سيل مبدعين  
 بحر واعدن يسرجون صهوة السماء، يلجمون شذى  
 الليل يغمرون أعين السهول.  
 بغضبة المخاصرين نهدة البروق في مراقص المحجيم

نعود في عيون الصيف في الشتار من ممالك  
 النعاس من رواقنا القديم  
 نعود والمدى قوائص تحوم.. والصدى يرن  
 في مداره الهزيم  
 يا نسمة العبور سعري بئيك لا يباع من يخف  
 يوم توقد الكوى وترفع الصحف  
 الشمس في كتوسها مشارط الثلوج والدماء والرعاف  
 الشمس في كتوسها تحيض قدس شعرنا  
 الجريمة العفاف  
 دماً في الليل والنهار... في حلوق الصمت  
 في عروق هامشٍ غريب  
 يا نسمة العبور ليس من يجيئه الكلام مثل من يرى  
 وليس من يبين مثل من يغيب  
 فالوعد يا حبيبة الأسي لفاك نادماً وتائباً وصادقاً  
 وعائداً يعود في عيونه هواك يغزل السحاب واحةً  
 وينسج الغيوم  
 لصيفك الجريح في مطار الصبر صيفك الذي  
 أصابه الوجوم  
 عساه لا ينام مرتين غافياً ولاهياً.. عساه  
 يستعيد وجهه الرهيب في مطالع الإياب  
 في مواسم القدوم  
 عندما شقق أوكتنا في مدخل المدينة كان يغني  
 سيدي وتاجي الذي عيناه فانوسان من دم البنات  
 توضأ الصباح في عروقي  
 وهزني كهزة الإبريق صبي في الوجه واليدين  
 من أجل ركعتين



من أجل فرض عين  
 تناقل الضحى وساح في الظهيرة الحمراء  
 خطاه نخرةً تحكرت ما بين قلب الأرض والسماء  
 خطاه.. يا مدائن البكاء  
 تجرّني بلا حريرةٍ ولا ضريرةٍ ولا غناء  
 تجرّني لدوخة الضريح أرفع الذي شتمته في المهدي  
 "سير" جدتي.. لصرعة الدوار  
 أعود راکزاً على جواد الرياح ناشراً على البحار  
 حرائر الدموع يستحمّ بدرى الصبي  
 في وسامة النهار  
 أنا هواي ما يرّ في مدائح الملوك  
 صك حكمة وزهو كلمة بلا تفضل ولا غرور  
 أنا ومن سواك يستطيع أن يمزق  
 الشراع في مراكي ويلجم القطار؟!  
 تشابحت في عينك الأمور  
 وأسقط الدوار  
 يديك في جهنم التي حفرتها وحلّ في دماك  
 سلّم الرعاف  
 يا بهجة الصحاف ها هنا وبهجة الحضور  
 إن كان سيدي الوقور  
 يسيح في دروبنا بجبةٍ وسبحةٍ  
 يضلنا ولا يخاف  
 سنفتح المدائن المسوّرات في نهاية المطاف  
 الحرف لا.  
 والصدق لا.  
 والطهر لا.

لأن ساحة العبور في مطارنا القديم  
 توضأت بالنار والجحيم  
 لأن سيدي الذي عيناه نجمتان من رماد  
 تكوّم الصباح في بوابة الحرم  
 محنطاً بالجنس والدموع  
 دعتة؟ لا والله بل تعوذت جدرانها.  
 وأقسمت أزقة البلاد  
 بأن للصباح حرمة تسدّ قاع الليل  
 تنسج الدروع  
 من حوله وتحجب الذي نراه ما نراه  
 بين عطفةٍ وظل دار  
 لكن سيدي الجريء في وضحة النهار  
 لسيدي غنيت للوقار للصلاح للخشوع  
 لوجهة المضيء عبر قاعة الشموع  
 لظهره النقي قلبه الأبى صوته القوي  
 للقيام للسجود للركوع  
 لما سمعت منه ما قرأت عنه  
 سرّ حبه الدفين في قلوب الناس في مواقع الجموع  
 له.. لسيدي الذي عيناه بقعتان من دم السوع

تناول الشاعر في قصيدته الموسومة بـ "أغنيات للصيف القادم" حالة التوتر والصدام بين السودان ممثلاً بشعبه الإفريقي وحضارته الإفريقية كذلك، وبين الآخر ممثلاً بالغرب المستبد والمستغل، فهناك حالة الظلم والفقر والجوع والتشرد التي يعيشها أبناء السودان وربما الجنوب منه وبين الغرب ممثلاً بقوته المادية حيث البنوك والجشع والاستغلال والتردي الأخلاقي. ولذا فقد بدت حالة التحدي والمواجهة بين طرفي المعادلة الظالم والمظلوم، إذ وظف الشاعر مصطفى سند صيغة الضمير في حالة الأفراد، والجمع، حيث جاء ضمير الأنا للتعبير عن التحدي والزهو الفردي عند الإنسان السوداني، كما أن ضمير

الجمع قد عبر عن حالة الوعي والتحدي والاعتزاز عند عامة أهل السودان. ولذا كثر استخدام ضمير "لنا" أكثر من مرة مفتتحاً به قصيدته، حيث يقول:

لنا صدك والحفيف يا جواد رحلة الهبوط

في منازل العيون

لنا هدير بوقك الليلي والنبذ والصراخ والجنون

لنا صدك يا حضارة البنوك والملوك

يا حضارة النقود

كما وظف الشاعر صيغة "الأنا" بشكل واضح ومركزي في هذا النص، حيث

يقول مبيناً حالة التحدي والرفض للآخر بكل ما يمثله من قوة واستبداد:

أنا هواي ما يرن في مدائح الملوك

صك حكمة وزهو كلمة بلا تفضّل ولا غرور

أنا ومن سواك يستطيع أن يمزق

الشرع في مراكي ويلجم القطار؟!

إضافة إلى ذلك، فقد استخدم الشاعر صيغة الفعل الدال على المستقبل كثيراً،

وهذا يمثل رؤية الشاعر المتفائلة نحو تغيير الواقع المؤلم الذي فرض على أبناء جلدته، ولهذا

فضالما توعد الشاعر من ظلمه واستبد وقهر أبناء وطنه بالنصر والتحرر، حيث يقول:

سنفتح المدائن المسوّرات في نهاية المطاف

الحرف لا.

والصدق لا.

والطهر لا.

لأن ساحة العبور في مطارنا القديم

ثم يقول في موضع آخر

سيزهر الحديد في دروبنا المساهرات للشروق، تنبت

قوافلاً من الرجال، فيض ناجزين، سيل مبدعين

بحر واعدنين، يسرجون صهوة السماء، يلجمون شدى

الليل، يغمرون أعين السهول

وقد ارتبطت صيغة الفعل المضارع بحالة الحاضر والمستقبل عند الشاعر، فهي هو يجسد في لوحاته صوراً تشخيصية، حيث جعل من الأشياء المعنوية أو الجمادات رموزاً حية تفيض بالحركة، وذلك من خلال قدرة الشاعر اللغوية التي استطاع أن يجعل من خلالها التشخيص محوراً أساسياً في رسم لوحاته الشعرية.

ولذا فقد جاءت صيغ الأفعال مرتبطة بهذه الحركة اللغوية، حيث جعل الزمان إنساناً يسجد متعبداً خاشعاً، وكذلك السماء جواداً يصهل عبر حركة الزمن، والحديد أصبح نباتاً يزهو كما هو في اللوحة الشعرية موضع التحليل، حيث يقول:

سيزهر الحديد، ثم يقول يسرجون صهوة السماء، من أكفهم فيسجد الزمان  
كما جاءت صيغ وأدوات الاستفهام والنداء والتعجب متناغمة مع أسلوب  
الالتفات في حركة لغوية تنبض بالحركة والحياة والحضور، حيث استطاع الشاعر أن ينتقل  
من خلال هذه الصيغ والأدوات من حالة إلى أخرى، حيث يقول:

من أي سكتين تنهض الرياح في يديك

مسرحات صندل وعطر شمعدان؟

ثم يقول: أنا ومن سواك يستطيع أن يمزق

الشراع في مراكيي ويلجم القطار؟!

وكذلك في حالة النداء يقول:

صبرت يا ابن مريم البتول يا سلام روح العالم

الغريق في بحيرة الضلال

صبرت يا مهاب الأمس يا غريب اليوم

حاسراً وعارياً وحافياً بلا نعال.

## الهوامش

(1) مصطفى سند شاعر سوداني من مواليد أم درمان عام 1936. أصدر مجموعات شعرية من بينها: "البحر القدم، وملاح من الوحي القديم، وشعرة البحر الأخير، وعودة البطريق البحري، وقد عمل في الوظائف الحكومية مثل مصلحة البريد، كما يشارك في المقالات النقدية والثقافية في الصحف والمجلات السودانية والعربية. والشاعر مصطفى سند من الشعراء الذي يقع الغموض في شعرهم، حيث يقوم شعره على الرمز والأسطورة، ويجمع في شعره بين لغة الرمز التي تشير إلى

- الثقافة العربية، ولغة الرمز التي يجسد من خلالها نزعتة الإفريقية، لذا يلحظ الدارس بسهولة الأداء الطقوسي في لغته الشعرية.
- (2) انظر عبده بدوي: الشعر في السودان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1981، ص 229، نحلة محكر: مختارات من الشعر السوداني  
www.igdelglad.net.1.10.2007.page1of4
- (3) انظر نحلة محكر: مختارات من الشعر السوداني،  
www.igdelgald.net.1.10.2007.page1of4
- (4) ماكس شايرير ورودا هندريسك: معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار الكندي، دمشق، 1989، ص 7.
- (5) محمد عبدالحلي: الأسطورة الاغريقية في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، مصر، 1977، ص 87.
- (6) انظر: عبدالرحمن محمد القعود: الإهمام في شعر الحدائث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص 48.
- (7) محمود أبو زيد: مشكلات المنهاج في التحليل الاجتماعي للأساطير، مجلة عالم الفكر، مج 16، العدد 3، الكويت، 1985، ص 205.
- (8) انظر النص الشعري، فضل الله أحمد عبدالله: مصطفى سند.. يتكرر الصورة.  
على الموقع الإلكتروني: www.alsahafa.info.27.09.2007. page1of4  
عبده بدوي: الشعر في السودان، ص 228-283.
- (9) انظر عبده بدوي: الشعر في السودان، ص 282-283.  
فضل الله أحمد عبدالله، مصطفى سند، يتكرر الصورة، ص 1-3.
- (10) أوستن وارن ورينيه ويلك، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق، 1972، ص 240.
- (11) المرجع نفسه، ص 240.
- (12) مصطفى سند: ديوان البحر القديم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط 2، الخرطوم، 1979، ص 60-61.
- (13) انظر: هايل محمد الطالب: البنية اللغوية والأسلوبية في النص الشعري  
www.alimbaratur.com3.10.2007, page5of14  
حسين خمري: بنية النص: نسق الثقافة، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر، 1996، ص 55.

- الطاهر رواينية: النص: البنية والسياق، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر 1996، ص55.
- (14) نور الدين السد: تحليل الخطاب الشعري، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر، 1996، ص107.
- (15) المرجع نفسه، ص 107-109.
- (16) محمد عبدالمطلب: مهارات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص 36-37.
- (17) مصطفى سند: ديوان البحر القديم، ص 40-41.
- (18) حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، المدينة المنورة، 1990، ص63.
- (19) المرجع نفسه، ص63.
- (20) فضل الله أحمد عبدالله: مصطفى سند يتكسر الصورة ويخلق الرمز، من خلال الموقع الإلكتروني: [www.alshahafa.info](http://www.alshahafa.info).27/09/2007.page1 of 3
- (21) مصطفى سند: البحر القديم: ص 46-53.

### المراجع

1. بدوي، عبده: الشعر في السودان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1981.
2. خمري، حسين: بنية النص: نسق الثقافة، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر، 1996.
3. رواينية، الطاهر: النص: البنية والسياق، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر 1996.
4. أبو زيد، محمود: مشكلات المنهاج في التحليل الاجتماعي للأساطير، مجلة عالم الفكر، مج16، العدد3، الكويت، 1985.
5. السد، نور الدين: تحليل الخطاب الشعري، مجلة اللغة والأدب، العدد رقم 8، جامعة الجزائر، 1996م.
6. سند، مصطفى: ديوان البحر القديم، دار الجامعة الخرطوم للنشر، ط2، الخرطوم، 1979.
7. شايبير، ماكس وهندريس رودا: معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار الكندي، دمشق، 1989.

8. الطالب، هايل محمد: البنية اللغوية والأسلوبية في النص الشعري  
www.alimbaratur.com3.10.2007, page5of14
9. طبل، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، المدينة المنورة، 1990.
10. فضل الله أحمد عبدالله: مصطفى سند.. يتكرر الصورة.  
على الموقع الإلكتروني: www.alsahafa.info.27.09.2007. page1of4
11. عبدالحى، محمد: الأسطورة الاغريقية في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، مصر، 1977.
12. عبدالمطلب، محمد: مهارات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
13. القعود، عبدالرحمن محمد : الإبهام في شعر الحدائث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002.
14. محكر، نحلة: مختارات من الشعر السوداني  
www.igdelglad.net.1.10.2007.page1of4
15. وارين، أوستن، ويلك، وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، دمشق، 1972.